الباب الخامس

المسئولية عن الصراع العربى الإسرائيلى

الفصل الأول: الرفض العربى للمشروع الصهيونى

الفصل الثانى: الصهيونية والتراث الدينى والتاريخى

الفصل الثالث: الصهيونية والعبرانى الجديد

الفصل الرابع: العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

الفصل الأول

الرفض العربى للمشروع الصهيونى

١ ـ حقيقة الرفض العربى

ترجع إسرائيل الصراع العربى الإسرائيلى إلى رفض العرب أساسًا إنشاء دولة يهودية فى فلسطين، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها، وإنما يجب عدم فصلها عن سياقها، سواء طبيعة المشروع الصهيونى، أو ظروف إقامته، وما اتسمت به العلاقات العربية اليهودية منذ بدء تنفيذه، وما اتبعته إسرائيل من سياسات تجاه العرب منذ إنشائها، ثم ما اتجه إليه العرب من السير فى طريق السلام مع إسرائيل وتقديم التنازلات لها.

وقد سبق الكلام عن الأمور المشار إليها، ونخصص الباب الحالى لمحاولة تفسير ظاهرة العدوانية الإسرائيلية من خلال تحليل العوامل الدينية والتاريخية والسياسية التى حددت الإستراتيجية الصهيونية، فرسمت أهدافها ووسائل تحقيقها، ومن ثم صبغت سياسة دولة إسرائيل بطابع العدوانية التى تتبعها منذ إنشائها وأدت إلى استمرار الصراع العربى الإسرائيلى.

٢ ـ الانعزالية وتجميع اليهود فى دولة إسرائيل

تقوم الصهيونية على المبادئ الرئيسية الآتية:

* إن كل يهود العالم يشكلون أمة واحدة.

* إن إسرائيل دولة يهودية أنشأها اليهود من أجل جميع يهود العالم.

* إن تفرق اليهود (فى الدول المختلفة) ليس إلا أمراً مؤقتًا، وإنهم سوف يذهبون إلى إسرائيل عاجلاً أو آجلاً حتى وإن كان ذلك راجعًا إلى الاضطهاد المعادى للسامية لهم.

* إن جمع المشتتين هو الغرض من إنشائها وهدفها الأساسى الذى تندرج منه بقية الأهداف[1].

فالهدف من إنشاء دولة إسرائيل هو تجميع يهود الدول المختلفة فى دولة واحدة تتمتع بالسيادة، لتبسط حماية عليهم، وتنهى اضطهادهم.

والواقع أن هذا الهدف لا يختلف كثيراً عن «الانعزالية» التى كانت الجماعات اليهودية فى الشتات تتسم بها فى حياتهم داخل «الجيتو» سواء كان ذلك مفروضًا عليهم أو كان بمحض اختيارهم. ففى حين فرض البابا بولس الرابع (١٥٥٠ ـ ١٥٥٩) العزلة الإجبارية على اليهود، فإن الثابت تاريخيًا أن العزلة اليهودية كانت قائمة على مر العصور بسبب واقع وحياة اليهود، ولأسباب دينية وطقوسية، ومن ثم عرفت أحياء وشوارع وحارات اليهود فى الدول المختلفة.

وتبالغ الصهيونية فى الكلام عن اضطهاد اليهود، فلم يكن تاريخ الجماعات اليهودية كله تاريخًا من اضطهاد الشعوب المختلفة لهم، بل عرفت هذه الجماعات تسامحًا وازدهاراً فى بعض مراحل تاريخها على نحو ما حدث فى فترة التنوير، وفى ظل الدولة الإسلامية، وخاصة فى الأندلس، بل وفى بابل أثناء مرحلة السبى، حيث ازدهرت أحوالها، وفضل كثيرون من اليهود البقاء فيها على العودة إلى «أرض إسرائيل».

وعلى أية حال، فقد فشلت الصهيونية فى تحقيق هدفها الأساسى، فلا يزال يهود إسرائيل يشكلون أقلية من يهود العالم، كما أن جمع اليهود فى دولة إسرائيل لم يحقق لهم الأمن الذى كانوا يفتقدونه فى الدول التى اضطهدتهم، ولم تستطع إسرائيل الاندماج فى محيطها الشرق أوسطى، واعتقدت أن سياستها العدوانية كفيلة بإخضاع العرب وفرض شروطها عليهم، ولكنها أخفقت فى ذلك رغم الحروب السبع التى خاضتها ضدهم.

(١) Uri Avnery: Israel without Zionism (Traduction en Francais) P.138.

٣ ـ اغتيال حقوق الشعب الفلسطينى

لم يكن من الممكن للشعب الفلسطينى أن يقبل المشروع الصهيونى الذى يغتال حقه المشروع فى الحصول على استقلال وطنه، فى الوقت الذى كان يتطلع فيه إلى تحقيق هذا الاستقلال بعد أن قام بتنفيذ التزاماته فى الحرب العالمية الأولى، وشارك فى الثورة العربية الكبرى إلى جانب بريطانيا ضد الدولة العثمانية.

كانت المراسلات التى تبادلها الشريف حسين حاكم مكة مع ماكماهون صريحة فى تأكيد التعهد البريطانى بإقامة الدولة العربية الكبرى مقابل قيام حسين بالثورة، فإذا بالدولة العظمى تنكص فى تنفيذ تعهداتها وتتقاسم مع فرنسا مناطق النفوذ فى المشرق العربى، وتدعى أن تلك التعهدات لم تشمل فلسطين التى تآمرت بريطانيا مع الصهيونية العالمية على إقامة الدولة اليهودية فيها، واستصدرت من عصبة الأمم صك انتدابها على فلسطين، وقدمت للصهيونية كل الدعم حتى أنشأت دولة إسرائيل رغمًا عن إرادة الشعب الفلسطينى، وبالرغم من مقاومته المتواصلة للمشروع الصهيونى، وفى انتهاك صارخ لمبادئ الرئيس ويلسون عن حقوق الشعوب، بل لأحكام نظام الانتداب الذى وضعته عصبة الأمم.

والواقع، أن هيرتزل وأعوانه قد استخفوا بشكل فاضح بالشعب الفلسطينى، مدعين أن المشروع الصهيونى لا بد وأن يقابل بالرضا والامتنان من قبل الفلسطينيين العرب، ومتصورين فى سذاجة غريبة ـ أو من قبيل الخداع ـ أن العرب سوف يقفون مكتوفى الأيدى فى الوقت الذى تعمل فيه الصهيونية على تحقيق الغالبية السكانية والسيادة اليهودية على فلسطين.

وبعد ما يقرب من ستين عامًا مضت على صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإقامة دولتين إحداهما يهودية والأخرى عربية، لا تزال إسرائيل تعمل كل ما فى وسعها للحيلولة دون إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة والقابلة للحياة حتى فى ٢٢٪ من أرض فلسطين.

٤ ـ مقاومة الصهيونية كمشروع استعمارى غربى

اعتبر العرب المشروع الصهيونى جزءًا من مؤامرات الدول الاستعمارية الغربية ضد الوطن العربى.

فلم يكن خافيًا عليهم أن تصريح بلفور صدر لتحقيق المصالح الاستعمارية لبريطانيا مقابل إقامة الدولة اليهودية فى فلسطين، وتنفيذ الدور المتفق عليه بين الجانبين، لكى تكون هذه الدولة عازلاً يقسم العالم العربى، ويقف حائلاً دون تكرار «الخطر» الذى كان يمثله محمد على.

وقد أكد دور بريطانيا طوال انتدابها على فلسطين صحة هذه النظرة العربية للمشروع الفلسطينى، ثم أكدته المؤامرة الثلاثية بين إسرائيل وفرنسا وبريطانيا وعدوانها الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م.

واتسمت سياسة إسرائيل منذ إنشائها بتأييد ودعم السياسات الاستعمارية الغربية على الساحة الدولية، وظلت مواقفها متفقة تمامًا مع مواقف الدول الاستعمارية فى الأمم المتحدة تجاه قضايا التحرير الوطنية فى العالم الثالث.

ومن ناحية أخرى، لم يخف هيرتزل أن الدولة اليهودية التى يسعى لإقامتها «سوف تكون قطعة من أوروبا فى مواجهة آسيا، وموقعًا متقدمًا للحضارة فى وجه البربرية» (كتيب هيرتزل عن دولة اليهود).

وظلت تصرفات الإسرائيليين تجاه العرب تعكس هذا التوجه، حيث اتسم تعاملهم معهم بالتعالى، واتسمت السياسة الإسرائيلية بالتمييز العنصرى بين اليهود والعرب، وكانت صورة العربى لدى الصهاينة منذ بداية تنفيذ المشروع الصهيونى أنه متخلف وغادر ومخادع، وعبر چابوتنسكى عن الفكر الصهيونى عن الأمة العربية بأن «العرب متخلفون ثقافيًا عن اليهود بخمسمائة عام».

٥ـ التنازلات العربية من أجل السلام

مهدت حرب أكتوبر المجيدة الطريق أمام توجه العرب نحو إقامة السلام مع إسرائيل، حيث أدت الانتصارات العربية فى الحرب إلى استرداد العرب الثقة بأنفسهم وقدرتهم على تحمل استحقاقات السلام، بما فى ذلك الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها بشرط تنفيذ إسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وقرارات الأمم المتحدة التى تؤكد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى.

وقد قبلت منظمة التحرير الفلسطينية قرار مجلس الأمن المشار إليه ـ بعد سنوات من رفضه بسبب عدم تعرضه لتسوية القضية الفلسطينية ـ وقبلت إقامة دولة فلسطينية فى الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧م، والتى لا تمثل سوى ٢٢٪ من أرض فلسطين، وعقدت المفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية فى إطار القناة السرية فى أوسلو، حيث توصل الجانبان إلى اتفاق إعلان المبادئ الذى يتضمن الاعتراف المتبادل بين الطرفين، وإقامة السلطة الفلسطينية فى الأراضى المحتلة، وعقدت معها بقية اتفاقات أوسلو.

ومع ذلك، أفشلت إسرائيل العملية السلمية ولا تزال تعرقل إقامة الدولة الفلسطينية.

أما عن الدول العربية، فقد عقدت كلٌ من مصر والأردن معاهدة سلام مع إسرائيل، وطرحت الدول أعضاء الجامعة العربية مبادرة سلام مع الدولة العبرية تقوم على أساس الاعتراف بإسرائيل وإقامة علاقات طبيعية معها مقابل انسحابها من كافة الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس على الضفة الغربية وقطاع غزة، والاتفاق على حل عادل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين. وقد رفض شارون المبادرة العربية ورد عليها بإعادة احتلال المناطق الفلسطينية التى سبق أن نقلت إليها طبقًا لاتفاقات أوسلو.

وهكذا، لم يعد مقبولاً من إسرائيل أن تدعى أن عدم قبول العرب لإنشاء الدولة اليهودية هو الذى يعوق إقامة السلام بين الجانبين.

ولا تزال إسرائيل ماضية فى سياساتها العدوانية، وتحاول فرض شروطها، والقيام بإجراءات أحادية لرسم حدودها على حساب الأراضى الفلسطينية والسورية، مع رفض تسوية القضايا الرئيسية العالقة بينها وبين الأطراف العربية.

***

الفصل الثانى

الصهيونية والتراث الدينى والتاريخى

١ ـ حركة علمانية.. ذات أساس دينى

كان تيودور هيرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ حريصًا على تأكيد الطابع العلمانى للحركة، وقد أراد خلال زيارته لفلسطين إظهار عدم احترامه للعقيدة الدينية اليهودية.

ومع ذلك، فهو ذات الشخص الذى قال: «إن الصهيونية تعنى العودة إلى اليهودية حتى قبل العودة إلى أرض اليهود».

ولم يكن هيرتزل يرى فى موقفه أى تناقض، فاليهودية التى يقصدها ليست قاصرة على العقائد الدينية البحتة، بل لها مفهوم واسع يمثل خليطًا من هذه العقائد والتراث الثقافى والتاريخى والقومى.

ومع ذلك، فقد كانت نتيجة هذا الفهم أن جمعت الحركة بين الملحدين من أمثال ماكس نورداو، الذى كان لا يؤمن بالتوراة ويفضل عليها كتيب هيرتزل عن «دولة اليهود» والحاخامات الذين أصدروا الفتاوى التى تبيح قتل العرب (والأغيار بصفة عامة)، وتضم الشيوعيين والاشتراكيين واليساريين واليمينيين، كما كانت تضم المتمسكين بأن تقام دولة اليهود على «أرض إسرائيل» التوراتية (فلسطين) وأولئك الذين لا يعنيهم مكان إقامتها، سواء كان أوغندا أو الأرجنتين أو غيرهما (وكان هيرتزل أحد هؤلاء).

وقد ظل تأثير الديانة اليهودية ـ بعقائدها وأساطيرها ـ قويًا على الحركة الصهيونية حتى بعد إقامة دولة إسرائيل، وأصبح الحفاظ على الطابع اليهودى للدولة أول مبادئ سياستها حيث تطالب العرب بالاعتراف بها كدولة يهودية، الأمر الذى تستند إليه لرفض حق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة.

٢ ـ تسخير الدين لخدمة الصهيونية

لجأ دعاة الصهيونية إلى الدين اليهودى فى سعيهم إلى اكتساب الشرعية وسط الجماعات اليهودية المختلفة، وبخاصة المتدينة منها، وراحوا يظهرون حركتهم كما لو كانت امتدادًا لليهودية، بل إن التسمية التى اتخذتها الحركة لها أساسها الدينى؛ إذ إن «صهيون» أحد مترادفات «أرض إسرائيل».

وقد شكل التراث الدينى معينًا لا ينضب أمام مفكرى الصهيونية فى خلق الرموز والأعياد والأساطير التى قامت فى دولة إسرائيل فيما بعد، وأصبحت رموزًا وأعيادًا وأساطير قومية. ولم تهتم الصهيونية بالتعاليم الدينية السامية لليهودية ـ كالوصايا العشر[1] وغيرها ـ بل ركزت على العقائد ذات الطابع القومى مثل، عودة اليهود إلى «أرض إسرائيل» وخلاصهم على يد المسيح المنتظر فى آخر الزمان، وقد سبق الكلام عن المسيحانية وما قوبلت به هذه الحركة من معارضة رجال الدين، ومن تبريرات أنصار الصهيونية منهم من أمثال الحاخام إبراهام كول تأييدًا لها.

ونتناول ـ فيما يلى ـ بعض العقائد الدينية التى سخرها الصهاينة، والتى كان لها تأثيرها على السياسة العدوانية لإسرائيل:

٣ ـ أرض إسرائيل التوراتية

بالرغم من أن تيودور هيرتزل كان يؤيد إقامة دولة لليهود فى أى مكان من العالم (أوغندا ـ الأرجنتين ـ سيناء.. إلخ)، إلا أنه أدرك فى النهاية أن الدعوة لإقامتها فى

(*) سبقت الإشارة إلى الوصايا العشر فى الفصل الأول من الباب الأول ص٢٠، وانظر الجزء الخاص بتابوت العهد وتابوت الشريعة وقدس الأقداس ص٣٩ من هذا الكتاب.

فلسطين من شأنها تحقيق التأييد اللازم لحركته من الجماعات اليهودية فى العالم بسبب العقيدة الدينية المرتبطة بـ«أرض إسرائيل».

وقد تساءل فى كتيبه عن (دولة اليهود) عما إذا كان يختار فلسطين أم الأرجنتين، ذاكرًا أن اليهود سيقبلون ما يعطى لهم ويوافق عليه المجتمع، وتحدث عن الأرجنتين وما تتميز به من خصوبة واتساع مع قلة عدد السكان واعتدال المناخ، ثم تحدث عن فلسطين قائلاً: «إنها الوطن التاريخى الذى لا ينسى، وإن اسمها سوف يجذب (شعبنا) بقوة هائلة».

والمفهوم الدينى لـ«أرض إسرائيل» يعنى الحدود التوراتية لهذه الأرض، والتى تمتد من نهر النيل إلى نهر الفرات. وقد رسمت الحركة الصهيونية حدود الدولة التى تطالب بها ـ على النحو السابق بيانه ـ فى المذكرة التى تقدمت بها إلى مؤتمر السلام فى باريس عام ١٩١٩م، وهى الحدود التى تشمل الأراضى الفلسطينية شرق وغرب نهر الأردن، وأجزاء من سوريا ولبنان ومصر، كما تشمل مصادر المياه فى المنطقة.

وإذا كانت الصهيونية قد قبلت قرار التقسيم (١٨١ فى ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م)، فإن داڤيد بن جوريون قالها بصراحة: «إنه يقبل حدود الدولة اليهودية كما رسمها القرار بصفة مرحلية».

وأعلنت دولة إسرائيل دون تحديد حدودها، وأعلن قادتها أن حدودها هى ما يصل إليها جنودها.

وكان اليهود يفسرون تصريح بلفور بأنه يعنى تحويل فلسطين بأكملها إلى دولة يهودية، الأمر الذى اضطر تشرشل إلى إصدار الكتاب الأبيض عام ١٩٢٢م مفندًا هذا التفسير، ومؤكدًا أن التصريح مفاده إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، مع عدم الإضرار بالحقوق المدنية والدينية لبقية الطوائف.

ومع ذلك، فقد ظل مفهوم «أرض إسرائيل» التوراتية يسيطر على الصهاينة مع اعتبارها أرض إسرائيل التاريخية، ومن ثم ظل التوسع فى مقدمة أهداف دولة إسرائيل تعمل على تحقيقه على مراحل كلما سمحت الظروف بذلك.

توسعت نتيجة حرب ١٩٤٨م، وحاولت التوسع فى حرب ١٩٥٦م، ولا تزال مطامعها فى الأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧م تحول دون تحقيق السلام، وتتبع

سياسة العنف والإرهاب من جهة، وسياسة فرض الأمر الواقع من جهة أخرى من أجل التمكن من ضم أجزاء كبيرة منها.

ومنذ احتلال إسرائيل للأراضى العربية المذكورة، يقع ساستها تحت ضغط رجال الدين وأنصار الاستيطان لعدم التخلى عن هذه الأراضى، بل إن الانتصارات التى حققها الجنود فى حرب ١٩٦٧م قد اعتبرت من قبيل المعجزات الإلهية التى حققها رب إسرائيل لشعبه المختار.

أما الأصولية اليهودية، فقد وجدت فى الديانة ما تفسر به التنازل عن أى أجزاء من «أرض إسرائيل» بالخطيئة الدينية الكبرى، الأمر الذى يعرض الشعب اليهودى للعقاب الإلهى.

فالحاخام تسفى يهودا كوك يذكر فى كتاباته: «لقد أمرنا بأن نستولى على الأرض وبأن نستوطن. أما معنى الاستيلاء فهو الغزو، ونحن إذ نؤدى هذه الفريضة (الميستفا) نستطيع تأدية الأخرى: الاستيطان.. التوراة والحرب والاستيطان ثلاثة فى واحد».

ويهودا إليتسور ـ أحد كبار علماء جوش إيمونيم ـ يرسم عدة أشكال إقليمية للدولة اليهودية مبنية على مصادر توراتية، فحدود الآباء عنده تمتد حتى نهر الفرات وجنوب تركيا وعبر الأردن ودلتا النيل.

والحاخام يسرائيل أريئيل يصف حدود أرض إسرائيل بأنها تضم لبنان حتى طرابلس وسوريا وقسمًا من العراق وآخر من الكويت فضلاً عن سيناء.

ويوئيل بن نون يقول: «لن ننسى أبدا أردننا..» وقد ظل حزب حيروت يتخذ له شعارًا خريطة شرق الأردن وغربه تتوسطهما بندقية[١].

٤ ـ الدين واستيطان الأراضى المحتلة

تقدم ما ذكره الحاخام تسفى يهودا كوك من أن استيطان الأرض فريضة دينية.

كما سبق الكلام عن تطور عمليات الاستيطان فى الأراضى العربية منذ احتلالها عام ١٩٦٧م، وكيف أصبح النشاط الاستيطانى فى هذه الأراضى مكثفًا، وخاصة منذ

(١) إيان لوستيك: الأصولية اليهودية فى إسرائيل (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ ١٩٩١).

إنشاء منظمة جوش إيمونيم الأصولية وتحالف حكومات الليكود معها، ثم كيف أن ضم الكتل الرئيسية للمستوطنات المقامة فى الضفة الغربية فى مقدمة المطالب الإسرائيلية، وأوضحنا دورها ـ مع الجدار العازل ـ فى رسم حدود إسرائيل.

كما ألقينا بعض الضوء على حركة جوش إيمونيم والأصولية اليهودية والنفوذ الذى تتمتع به جماعات المستوطنين لدى الحكومات الإسرائيلية ومواقفها العدوانية من العرب.

٥ ـ القدس والمسجد الأقصى

سبقت الإشارة إلى أن إسرائيل قامت ـ عقب احتلالها للقدس الشرقية عام ١٩٦٧م ـ بضمها إلى أراضيها، وأعلنت توحيد شطرى المدينة وجعلها عاصمة أبدية للدولة، ثم قامت بتوسيع الحدود البلدية لها، وصادرت مساحات كبيرة من الأراضى الفلسطينية، وطوقت القدس الشرقية بسلسلة من المستوطنات، كما بادرت عقب الاحتلال بهدم حى المغاربة وتوسيع المساحة المواجهة لحائط البراق (حائط المبكى)، وأخذت تستولى على مساكن فى البلدة القديمة ليسكنها الإسرائيليون.

وقد ألهب احتلال القدس مشاعر الإسرائيليين، وبدأت أعمال استفزاز الفلسطينيين بمحاولات إقامة بعض المتطرفين الصلاة داخل المسجد الأقصى. ومع ذلك، فقد أيدت المحكمة العليا طلب إقامة اليهود الصلاة فى الحرم القدسى.

وأنشئت عدة جماعات يهودية متطرفة تدعو إلى هدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل اليهودى، ومن هذه الجماعات حركة كاخ، ومنظمة جبل الهيكل، وحركة كاهاناحىّ.

وكان أحد اليهود قد حاول حرق المسجد عام ١٩٦٩، وادعت إسرائيل أنه مختل عقليًا.

وقد قام المتطرفون اليهود بعدة محاولات لهدم المسجد الأقصى بنسفه بالمواد المتفجرة أو بإلقاء قنابل وصواريخ من الطائرات. إلخ، ومن هذه المحاولات ما كشفته السلطات عام ١٩٨٢م، حيث قبضت على أعضاء جماعة متطرفة خططت لنسف المسجد.

٦ـ فتاوى الحاخامات وجرائم المستوطنين ضد العرب

عارضت جوش إيمونيم معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، وحرضت أنصارها على عرقلة الانسحاب من مستعمرة ياميت فى سيناء، ودبرت حوادث الاعتداء البشع على العرب عام ١٩٨٢م.

وفى مايو ١٩٨٤، تم القبض على ٧٢ شخصًا من مؤسسة المستوطنين ـ من بينهم عدد من نشطاء جوش إيمونيم ـ بتهمة ارتكاب سلسلة من جرائم من بينها محاولة قتل عرب من الضفة الغربية بعمل كمائن لأوتوبيسات عربية فى القدس الشرقية وقتل جميع ركابها، وقد أدين المذكورون بالاشتراك فى تلك المؤامرة، وفى التآمر لنسف المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة، ومحاولة قتل عمد لعدد من عرب مدن الضفة الغربية، ووضع قنبلتين فى مسجد بمدينة الخليل. كانت تلك شبكة إرهابية سرية، وبالرغم من خطورة نشاطاتها، فإنها حظيت بدفاع وتعاطف الحاخامات، بل اعترف أحدهم (حاجاى سيجال) بأن الحاخام موشيه ليفينجر كان يحرض على ارتكاب هذه الجرائم ويعتبرها من الفرائض الدينية، وأصدر حاخام آخر ـ هو الراباى آرييل ـ بيانًا يهاجم فيه الحكومة بسبب موقفها من أولئك الإرهابيين.

وفى ٢٥ فبراير ١٩٩٤م، ارتكب باروخ جولدستاين مذبحة شنعاء فى المسجد الإبراهيمى، حيث قتل ٢٩ فلسطينيًا أثناء أدائهم الصلاة فى شهر رمضان، ومن الغريب أن يصبح قبره مزارًا للمستوطنين!

وقد أسهم الحاخامات فى إهدار دم العرب، ويكفى أن نشير فى هذا الصدد إلى كتاب أصدره الراباى إسحق جنزبرج يمجد فيه عمل جولدستاين مستشهدًا بخمس وصايا دينية هى: التضحية باسم الرب، وإنقاذ أرواح، والانتقام، والتطهر من الشرور، والقتال من أجل «أرض إسرائيل»[١].

٧ـ النفوذ السياسى لجماعات الاستيطان

كان أول نجاح لأنصار الاستيطان المكثف فى الأراضى العربية المحتلة عندما فرض

(١) Amnon Robinstein: From Herzl To Rabin (Holmes and Meier).

الحاخام موشيه ليفنجر على الحكومة العمالية إقامة مستوطنة فى مدينة الخليل، ففى إبريل ١٩٦٨م قامت ٣٢ عائلة يهودية ـ بقيادة الحاخام المذكور ـ باحتلال طابقين فى المدينة، وأعلن ليفينجر أنهم قد استوطنوا المكان ولن يغادروه، متحديًا بذلك سياسة حكومة ليفى أشكول العمالية، ومتسببًا فى أزمة حادة بسبب وضع المدينة التى شهدت مصادمات دامية عام ١٩٢٩م أدت إلى إخلائها من اليهود.

وقد تعرضت الحكومة الإسرائيلية لضغوط شديدة حتى من بين بعض وزرائها أدت فى النهاية إلى عدم التعرض للمستوطنين، وسلمت بإقامة مستوطنة كريات عربة فى ضواحى مدينة الخليل، الأمر الذى جعل من هذه المدينة ـ التى تحوى المسجد الإبراهيمى ـ من أخطر بؤر الصدام الدامى بين سكان المدينة اليهود البالغ عددهم ٤٠٠ يهودى والفلسطينيين البالغ عددهم مائة ألف.

ولم تكن حركة جوش إيمونيم قد أنشئت ـ حيث كان ليفينجر وأتباعه ينتمون إلى حركة أرض إسرائيل الكاملة التى أسست بعد شهرين من حرب ١٩٦٧م ـ وقد أدى نجاح سياسة فرض الأمر الواقع التى لجأ إليها الحاخام المذكور إلى إنشاء جوش إيمونيم فى أعقاب حرب ١٩٧٣م.

وشهدت الحركة المذكورة نجاحًا كبيرًا منذ تولى الليكود بقيادة مناحيم بيجين الحكم عام ١٩٧٧م، وقامت بنشاطها الاستيطانى المكثف، وخاصة فى المناطق الآهلة بالسكان الفلسطينيين، وأصبحت لها مؤسساتها وصحيفتها، وصارت قوة ضغط كبيرة على الحكومات الإسرائيلية التى مضت فى إقامة المستوطنات فى كل مكان، على نحو ما سبقت الإشارة إليه، بحيث أصبح ضم الكتل الكبرى للمستوطنات أحد الأهداف الرئيسية لإسرائيل.

وإذا كان شارون قد نجح فى إزالة مستوطنة ياميت فى سيناء تنفيذًا لمعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية، كما تمكن من تصفية المستوطنات فى قطاع غزة ـ رغم مقاومة المستوطنين ـ فإنه قام بذلك تنفيذًا لإستراتيجية إسرائيلية عليا تحدد ما ترى الدولة الاحتفاظ به وضمه إليها، وما ترى الاستغناء عنه لأسباب سياسية أو أمنية أو اقتصادية.

٨ـ موقف الأصولية اليهودية من عرب فلسطين

يذكر إيان لوستيك فى كتابه عن الأصولية اليهودية فى إسرائيل أنه «ليس ثمة من بينة على وجود خطط عملية لتنفيذ إجراءات الإبادة الجماعية تجاه عرب أرض فلسطين، إلا أن تحليل مدى التباين داخل الحركة الأصولية اليهودية بشأن مسألة العرب لا بد أن يستهل بالقول إن نفرًا من الحاخامين المؤيدين لجوش إيمونيم قد تقدموا بآراء من شأنها أن توفر الأساس الهالاخى ـ أى الدينى التشريعى ـ لإجراءات كهذه».

كما يذكر أنه «فى استطلاع لآراء الحاخامين المقيمين فى الضفة الغربية وغزة أجرى سنة ١٩٨٧م ذهبت ٨٦٪ من الإجابات بإباحة استعمال العقوبات الجماعية ضد مخيمات اللاجئين أو العائلات والأقارب. أما الأسلوب المفضل (٦٤٪) فكان نفيهم.

أما عن نظرة جوش إيمونيم للمقاومة العربية لإسرائيل، فإن هذه الحركة «تنظر إلى الصراع مع العرب بطريقة مغايرة جذريًا؛ وذلك باعتباره الحقبة الأخيرة والحاسمة فى معركة إسرائيل الدائمة لقهر قوى الشر». ويتجلى هذا الموقف فى الكلمات التى ألقاها أليعيزر فالدمان ـ رئيس إليشيفا فى كريات أربع عضو الكنيست وممثل حزب تحيا، حيث قال: «إن إسرائيل إذ تحارب العرب، تؤدى مهمتها» وينفى فيش (أحد الأصوليين) أن يكون الفلسطينيون بمنزلة النقيض للشعب اليهودى. فاليهود هم الأمة التى عينها الله الحى خالق العالم شعبًا شرعيًا أبديًا لا مطعن فى حقه فى أرض إسرائيل كلها. أما الفلسطينيون فلا حق شرعيًا لهم على الإطلاق فى ادعاء المواطنة أو المطالبة بأية قطعة من البلد.. إن صورة الفلسطينيين من حيث هم هالكون فى مقاومتهم الانتحارية للحكم اليهودى فى أرض إسرائيل تقابل تصنيفًا أعمق جذورًا لهم. فحاخامو جوش ومنظروها ينظرون إلى المواطنين العرب باعتبارهم كنعانيين أو بنى إسماعيل»[١].

٩ـ السياسة الصهيونية التعليمية

فى مقال له بعنوان (الجذر الدينى للتعليم فى الدولة العبرية) ـ فى كتاب «المعرفة» الصادر عن وزارة المعارف السعودية عن (التعليم فى إسرائيل دينى أم علمانى) ـ يذكر

(١) إيان لوستيك ـ مرجع سابق ـ ص ٩٠، و٩١.

الكاتب الإسلامى السعودى زين العابدين الركابى أن التعليم الدينى فى إسرائيل يتسم بخصائص ثلاث هى: الاستغراق الزمنى (لكافة المراحل)، والتكثيف على نحو يشبه التخصص، والتثقيف المشبع، بحيث إن كل خريج فى أية مرحلة لا يتخرج إلا بعد أن يتلقى زادًا دينيًا مشبعًا يعين نفسه وشعوره بالعقائد والمفاهيم اليهودية.

وقد ركز المؤتمر الصهيونى الحادى والثلاثون على أهمية التربية اليهودية الصهيونية للمنظمة الصهيونية العالمية بكل أجهزتها، بحيث تكون قائمة على أسس قيم اليهودية والتراث والتقاليد اليهودية منذ أجيال عديدة.

وفى مقال بالعدد نفسه، يتناول الشاعر والكاتب الفلسطينى موضوع (الصهيونية فى الكتب المدرسية الإسرائيلية)، ويذكر أن إسرائيل وضعت عقب قيامها فلسفة لتربية الناشئة الصهيونية تركزت على عدة مفاهيم من بينها: إيجاد المجتمع العسكرى الدائم، والإيحاء للناشئة اليهودية بأن العرب يعملون على إبادتهم وتدمير إسرائيل؛ وفى هذا الإطار وضعت وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية كتب العلوم الإنسانية (التاريخ ـ المواطنة ـ العقيدة اليهودية.. إلخ). ويتحدث الكاتب عن المرتكزات والقيم التربوية العامة، ومنها: اعتبار فلسطين والجولان أراضى يهودية، وإغفال التاريخ العربى والإسلامى ـ واعتبار العرب محتلين، ووصف سكان فلسطين العرب الأصليين بأنهم قبائل بدوية دائمة الترحال، وإبراز تفوق الجندى اليهودى على الجندى العربى. كما يذكر أمثلة لعدد من الكتب المدرسية مليئة بالمغالطات التاريخية.

ومن الأمثلة المعروفة عن أثر التعليم الدينى للأطفال فى إسرائيل ما نشر من إجابات هؤلاء على استبيان لأحد الأساتذة بشأن رأيهم فيما فعله يشوع بالقرى التى فتحها، وما إذا كان ذلك صوابًا، وهل يجب أن يفعل جيش إسرائيل اليوم بالقدس العربية ما فعله يشوع (من قتل الرجال والنساء والأطفال والحيوانات والتدمير الشامل)؟.. أن الإجابة الكاسحة لهؤلاء الأطفال ردًا على السؤالين كانت بنعم!

***

الفصل الثالث

الصهيونية والعبرانى الجديد

١ ـ رفض اندماج اليهود فى مجتمعات الدول

سبقت الإشارة إلى أن أحوال اليهود فى أوروبا بدأت فى التحسن فى القرن الثامن عشر، وأنه بفضل الأفكار الليبرالية التى نشرتها الثورة الفرنسية، وإعلانها لحقوق الإنسان والمواطن الذى يسوى بين المواطنين دون اعتبار لمعتقداتهم الدينية، أخذت تلك الدول تلغى القيود التى كانت تضعها على اليهود فى مسائل العمل والإقامة والزواج، وتعترف لهم بحقوق المواطنة.

وقد بدأت فى أواخر القرن حركة التنوير (الهاسكالا) التى شهدت تطورات إصلاحية أساسية للمعتقدات الدينية اليهودية أدت إلى تغيير الروح الانعزالية لدى اليهود واندماجهم فى مجتمعات الدول التى يعيشون فيها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن حركة التنوير ارتبطت بأفكار موسى مندلسون (١٧٢٩ ـ ١٧٨٩م) الذى طالب فى كتابه (أورشليم) بالفصل بين الدولة والدين، والملاءمة بين المعتقدات اليهودية والحضارة الغربية. وتبعه مفكرون يهود آخرون أخذوا يناقشون المعتقدات القديمة، وينتقدونها. واعتنق كثير من اليهود الديانة المسيحية، وتزاوجوا من غير اليهود (انظر الفصل الثالث من الباب الثانى).

وقامت فى ألمانيا حركة إصلاحية يهودية، وأنشئ معبد إصلاحى يستبعد من صلواته الأجزاء الخاصة بالعودة إلى صهيون وقدوم المسيح.

وأصبح اندماج اليهود فى ألمانيا وغيرها من الدول الغربية حقيقة ملموسة، وتميزت أوضاعهم فى الثلث الثانى من القرن التاسع عشر بالتقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى. وفى الولايات المتحدة، التى تدفق عليها اليهود منذ عام ١٨٤٠م، سادت اليهودية الإصلاحية، واندمج اليهود فى المجتمع الأمريكى اندماجًا كاملاً.

ولكن الأرثوذكسية اليهودية اتخذت من حركة التنوير موقفًا عدائيًا محذرة من أفكارها التى تتعارض ـ فى رأيها ـ مع الديانة، ومن خطورة الزيجات المختلطة على مصير الشعب اليهودى.

وقد حدثت ردة لحركة التنوير مع بدء ظهور اتجاهات معادية للسامية (لليهود) وخاصة فى ألمانيا لعوامل متعددة من أهمها تدفق أعداد كبيرة من يهود روسيا وپولندا عليها وعلى الدول الغربية الأخرى نتيجة للاضطهادات التى تعرضوا لها فى البلدين.

وقد تأثر تيودور هيرتزل ـ أحد اليهود المندمجين فى المجتمع النمساوى ـ بمحاكمة الضابط اليهودى دريفوس الذى كان يغطيها فى فرنسا كصحفى، حيث اتهم المذكور ظلمًا بالخيانة العظمى وأحدثت المحاكمة ثورة لدى الرأى العام ضده اتسمت بمعاداة السامية.

وأدى ذلك إلى اقتناع هيرتزل بأن عداء السامية ظاهرة لن تنتهى، وسيظل اليهود منبوذين ومضطهدين دائمًا، ومن ثم أصدر كتيبه (دولة اليهود) الذى أصبح إنجيل الحركة الصهيونية، وشغلت أفكار هيرتزل عن ظاهرة معاداة السامية حيزًا كبيرًا من الكتيب. ورأى مؤسس الصهيونية أن حل مشكلة اليهود يتمثل فى إقامة دولة لهم.

وهكذا نشأت الحركة الصهيونية التى ترفض اندماج اليهود، وتعمل لإقامة دولة لهم فى فلسطين (التى سمتها أرض إسرائيل) دون اعتبار لشعبها الذى يعيش فيها منذ فجر التاريخ، والذى أصبح شعبًا عربيًا خالصًا منذ فتح البلاد فى عهد عمر بن الخطاب عام٦٣٨م.

٢ ـ خلق العبرانى الجديد

أخذت الحركة الصهيونية على عاتقها مهمة خلق اليهودى (العبرانى) الجديد، الذى يلتصق بالأرض ويستوطنها ويعمل فيها، رافضة الشخصية اليهودية الجيتوية التى كانت تتسم بالضعف والخنوع، والتاريخ الوظيفى للجاليات اليهودية التى كانت تفضل أعمال التجارة والربا، وتقوم بأنشطة اقتصادية هامشية فى الدول التى تعيش فيها.

وقد دلت كتابات زعماء الحركة وأدبائها على مدى احتقار تلك الشخصية الچيتوية، وأولئك الذين استسلموا للمذابح النازية.

كتب الأديب الإسرائيلى إيهود بن عيزر: «إن الصبار (أى اليهودى المولود فى إسرائيل) يحتقر اللاجئين اليهود الذين وصلوا إلى فلسطين بعد أحداث النازية، أولئك الذين لا يعرفون حتى العبرية.. وسلوكهم يدل على الضعف، وهم متشبهون بالنساء».

ويقول مارجليت بتاى وهربرت راسكول فى كتابهما (المليون الأول من الصباريم): «إن الصبار يشعر بالتفوق إزاء السائح اليهودى القادم من خارج البلاد، وإن موقفه هذا متأثر من حقيقة أنه لا يستطيع أن يفهم لماذا سمح ستة ملايين يهودى للنازيين أن يقتلوهم، ولا يستطيع أن يفهم لماذا ماتوا مستسلمين. إن هذا كابوس بالنسبة له، ووصمة عار بالنسبة لكرامته».

وفى رواية عميرام أميتاى (حرب المستنقعات) ـ وفى قصة (نحن نساعدك) يصور اليهودى الجيتوى بأنه «شاحب الوجه، أصفر الشعر، يرتدى ملابس غريبة، وله وجه مستدير مثل وجه طفل لا أثر فيه للدم وشعره الأبيض الأصفر ممشط باعتناء على جبينه الأبيض الناعم.. إنه باختصار النقيض الكامل للمجتمع الصبارى الذى يقابله بالسخرية المعتادة».. إن الفتى الجيتوى المنكمش والذى يرتعد كل جسده لدى سماع صوت طائرة فى السماء يقيم صداقة فقط مع طفل واحد مثله..»[١].

ومقابل هذا الاحتقار لشخصية يهودى الجيتو وأمثاله من اليهود المستضعفين، يبدى زعماء الصهيونية وأدباؤها إعجابهم بشخصية الصبار ـ الذى يمثل الجيل الذى صنعته الصهيونية.

---

(١) د. رشاد الشامى: «الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية».

وقد عبر چاپوتنسكى عن هدف الصهيونية خلق العبرانى الجديد بقوله: إن نقطة البداية هى أن نأخذ الصورة التقليدية لليهودى (الذى يطلق عليه شعبيًا اسم Yid) ونتصور عكسها. . فلأن اليهودى المذكور قبيح وضعيف «مريض ـ Sickly» وتنقصه «اللياقة ـ decorum»، فإن علينا أن نخلع عليه الصورة المثلى للجمال الذكورى. اليهودى التقليدى من السهل إخافته، ولذا فإن العبرانى يجب أن يكون ذا كبرياء واستقلال. الأول يقبل الخضوع، أما العبرانى فيجب أن يتعلم إصدار الأوامر. الأول يخفى هويته، لذا فإن على العبرانى أن ينظر فى عيون الناس معلنًا أنه عبرانى».

أما بن جوريون، فيقول: «منذ تراچيديتنا الأخيرة الخاصة بإخماد ثورة باركوخبا على أيدى الرومان، كانت لنا تواريخ من الاضطهاد والتفرقة القانونية ومحاكم التفتيش والغارات العدوانية. . ولكن لم يكن لنا تاريخ؛ لأن تاريخ أى شعب هو وحده الذى يصنعه الشعب كله كوحدة وطنية»[1].

ولما كان الصبار هو الإسرائيلى الذى أنتجته الصهيونية، فإن من المفيد ذكر صفاته.

٣ ـ صفات الصابرا

فى دراسة قام بها العالم سپيرو فى كتابه «الصابريم والصهيونية»، تعرض الكاتب لعدوانية الصابرا حيال الغرباء (بمن فيهم المدرسون والعمال بالأجر من خارج الكيبوتز) ذاكرا أن عدوانيتهم لا تقتصر على السود، بل تمتد إلى البيض والمهاجرين الأوروپيين، ويعدد أمثلة لهذه العدوانية، وقد قام الدكتور قدرى حفنى بتحليل دراسة سپيرو فى كتابه «الإسرائيليون من هم؟ دراسة نفسية».

ويحدد الدكتور قدرى حفنى فى دراسته التى تحمل عنوان (شباب عجوز) أهم صفات الصابرا ذاكرًا أنها: الانطوائية، والكآبة، والتشكك، والتشاؤم، والشعور بالدونية، والعدوانية، واللامبالاة، والبرود العاطفى، والإحساس بالفشل،

(١) From Herzl To Rabin - opcit.

والحساسية المفرطة للنقد، والحاجة للمديح والإطراء، وخشونة المظهر، وانفعالية الأعماق[1].

٤ـ سمات الشخصية الإسرائيلية

أما الدكتور رشاد الشامى، فإنه يحدد سمات الشخصية اليهودية الإسرائيلية الإشكنازية والصبارية، ومن بينها الروح العدوانية أو التوحد فى المعتدى، ويحلل العوامل النفسية التى تشكلت نتيجة للتطورات التاريخية للجماعات اليهودية وأثرت فى الفكر الصهيونى ذاكرًا أن «اليهود تعرضوا للقتل والعجز والطرد والتشريد والمهانة على أيدى النازى مثلما تعرضت لذلك الشعوب الأوروبية. وإزاء هذا الموقف الصادم كان المخرج لدى اليهودى هو التوحد فى المعتدى، أن يغدو اليهودى الضحية، نازيًا له ضحاياه... والهدف الجماعى لعملية التوحد بالمعتدى كما كشفت عنه دراسات التحليل النفسى هو أن يتحول الحمل ذئبًا..»[2].

٥ـ عسكرة المجتمع الإسرائيلى

عملت الصهيونية منذ بدء عمليات الاستيطان فى فلسطين على خلق مجتمع العمل والدفاع الذاتى بتحويل عمال المستوطنات وسكانها إلى عسكريين مسلحين. وفى عام ١٩٠٩م، أنشئت منظمة هاشومير (الحارس)، وكان شعارها الذى نادى به بن جوريون: «بالدم والنار سقطت يهودًا، وبالدم والنار ستقوم يهودا»، أما أسلوب حمايتها لليشوف (المجتمع اليهودى فى فلسطين)، فقد كان البرنامج الذى وضعته المنظمة المذكورة هو حجر الأساس لنشأة العسكرية الصهيونية التى تستهدف: خلق المجتمع اليهودى العسكرى، وتوسيع نطاق الوظائف العسكرية، وإعطائها مركزًا متميزًا فى المجتمع اليهودى، والسيطرة عسكريًا على مقدرات اليشوف، وإنشاء قوة عسكرية مسلحة محترفة[3].

---

(١) د. قدرى حفنى: الإسرائيليون.. من هم؟ (مكتبة مدبولى).
(٢) د. رشاد الشامى: مصدر سابق.
(٣) د. رشاد الشامى: مصدر سابق.

وقد سبق لنا الكلام عن تبنى الصهيونية للعنف والإرهاب، وعن المنظمات العسكرية والإرهابية (الهاجاناه ـ وإيتسل ـ وليحى . . إلخ) والعمليات التى قامت بها ضد العرب والبريطانيين.

والواقع، أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية تشغل مركز الصدارة فى إسرائيل، وتسيطر على الحياة السياسية فيها، حتى قيل إن إسرائيل جيش له دولة.

* * *

الفصـــل الرابـــع

العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وإسرائيل

١ ـ تطورات الموقف الأمريكى من النزاع العربى الإسرائيلى

يرجع تورط الولايات المتحدة فى النزاع العربى الإسرائيلى إلى عهد الرئيس وودرو ويلسون عندما وافق على تصريح بلفور عام ١٩١٧ تحت تأثير صديقه لويس براندیس، ودون علم وزير خارجيته ومعارضته لاتخاذ هذه الخطوة.

وقد كانت الحركة الصهيونية لا تزال ضعيفة التأثير فى الولايات المتحدة، وظلت وزارة الخارجية الأمريكية تعتبر موقف ويلسون موقفًا شخصيًا غير ملزم، بل كانت ترى عدم الخضوع للضغوط الصهيونية حرصًا على المصالح الأمريكية فى الشرق الأوسط. وأكد الرئيس روزفلت للملك عبد العزيز آل سعود أن الولايات المتحدة سوف تتشاور مع العرب قبل اتخاذ أى موقف تجاه المشكلة الفلسطينية.

وقد حدث تغيير جذرى فى السياسة الأمريكية تحت تأثير المذابح النازية لليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وبدأت الحركة الصهيونية فى الولايات المتحدة ـ بقيادة هليل سيلفر ـ فى شن حملة سياسية ودعائية واسعة لكسب تأييد الأمريكيين لإقامة دولة يهودية فى فلسطين، وانصاع الرئيس ترومان للضغوط الصهيونية رغم تحذير وزيرى الخارجية والدفاع، فأقحم الولايات المتحدة فى النزاع، وقام بالضغط على بريطانيا كى تفتح باب فلسطين لهجرة مائة ألف يهودى فى الحال، ووظف النفوذ الأمريكى من أجل استصدار قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وإقامة الدولة اليهودية.

وإزاء تفجر أعمال العنف بين العرب واليهود حاول التراجع عن قرار التقسيم، ووضع فلسطين تحت وصاية الأمم المتحدة، ولكنه ما لبث أن تراجع تحت ضغط الصهاينة، وانتهى به الأمر إلى الاعتراف بإسرائيل فور إعلان إنشائها.

كان الاعتبار الذى يحرك ترومان هو الرغبة فى الحصول على أصوات اليهود فى الولايات المتحدة من أجل إعادة انتخابه أما أيزنهاور، فقد كان بسبب مكانته أكثر قدرة على مواجهة الضغوط الصهيونية، وكان يرى أن على إسرائيل ـ التى توسعت خارج حدود قرار التقسيم ورفضت عودة اللاجئين الفلسطينيين ـ أن تقدم التنازلات للعرب، وأعد ـ مع بريطانيا ـ خطة ألفا التى تقوم على هذا الأساس، كما أوفد ممثله روبرت أندرسون للوساطة بين مصر وإسرائيل على أساسها، وذلك بعد أن أوفد إريك جونستون لإجراء المفاوضات بين الأطراف العربية وإسرائيل لاستغلال مياه نهر الأردن، وتنفيذ مشروعات لاستيعاب اللاجئين.

وكان أيزنهاور يرى ضرورة إنهاء الصراع العربى الإسرائيلى حتى يتمكن من تنفيذ خطته الخاصة بتطويق الاتحاد السوفييتى بالأحلاف العسكرية.

ورغم رفض عبدالناصر لحلف بغداد، فقد اتخذ أيزنهاور موقفًا صلبًا فى وجه العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م، وتمسك بانسحاب إسرائيل وبريطانيا وفرنسا من سيناء وقطاع غزة، إلا أنه أعلن ما عرف بمبدأ أيزنهاور القائم على التدخل لمساعدة أية دولة فى المنطقة إزاء أى تهديد من جانب الشيوعية الدولية.

أما خليفته چونسون، فقد أبدى انحيازًا واضحًا لإسرائيل، وبدأت العلاقات الأمريكية المصرية تتوتر منذ عام ١٩٦٥م حيث أوقفت الولايات المتحدة معونتها من القمح لمصر، وبدأت تتدخل فى الشئون المصرية مطالبة بالحدّ من تسلح الجيش وتخفيض عدد قواته.

٢ـ العلاقات الإستراتيچية الأمريكية الإسرائيلية

شهدت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية تطورًا كبيرًا فى أعقاب حرب عام ١٩٦٧م، حيث بدأت الولايات المتحدة تعتبر إسرائيل حليفًا لها يخدم مصالحها فى المنطقة،

وأصبحت هى المورد الرئيسى للأسلحة للدولة العبرية بعد أن كانت تتفادى تزويدها بها مباشرة.

وعندما أبدت إسرائيل استعدادها لوقف التدخل السورى ضد الأردن ـ فى الأزمة مع الفلسطينيين عام ١٩٧٠م ـ بدأت الولايات المتحدة (منذ عهد نيكسون) تعتبر إسرائيل رصيداً إستراتيچيا لها فى الشرق الأوسط.

وفى عهد الرئيس ريجان وقعت فى نوڤمبر ١٩٨١م مذكرة التفاهم الإستراتيچى بين الولايات المتحدة وإسرائيل متضمنة القيام بمناورات مشتركة، واستخدام القوات الأمريكية للقواعد والمنشآت الإسرائيلية، وتخزين الأسلحة الأمريكية فى إسرائيل، مع إعطاء الجيش الإسرائيلى حق استخدامها فى الحالات الطارئة، وكذا تمويل أمريكا لإنتاج الدبابات الإسرائيلية مركاڤا، وتبادل المعلومات العسكرية.

٣ ـ أبعاد العلاقة الخاصة

تدعم الولايات المتحدة إسرائيل عسكريّا وسياسيّا واقتصاديّا وماليّا.

أما عن الدعم العسكرى، فقد تعهدت الإدارات الأمريكية كلها بتزويد إسرائيل بالأسلحة التى تكفل لها التفوق على الدول العربية مجتمعة، ومن ثم تمدها بأحدث ما فى الترسانة الأمريكية من الأسلحة. كما تهب الولايات المتحدة لنجدة إسرائيل على نحو ما حدث فى حرب أكتوبر ١٩٧٣م عندما أقامت جسراً يزودها بالسلاح لإنقاذها.

وأما عن الدعم السياسى، فإنه يتمثل فى تأييد المواقف الإسرائيلية، وتبنى سياساتها، حتى المتصلبة منها، واستخدام حق الڤيتو فى مجلس الأمن لإسقاط أى قرارات تدينها، أو تطالبها باتخاذ إجراءات، أو الامتناع عن أعمال تخالف الشرعية الدولية. وقد أشرنا إلى التحالف الإستراتيچى بين البلدين (والذى وصل إلى مداه فى عهد الرئيس الحالى چورچ بوش، وكان من أهم عوامل الغزو الأمريكى للعراق واتخاذ سياسة معادية لإيران وسوريا).

وقد سبقت الإشارة إلى موقف الولايات المتحدة تجاه قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ وتأييدها الموقف الإسرائيلى الرافض للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة قبل

الاتفاق على حدود جديدة لإسرائيل. الأمر الذى أدى إلى بقاء الاحتلال أربعين عامًا حتى الآن.

وعن الدعم الاقتصادى والمالى، فإن إسرائيل تحصل على أكبر معونة تقدمها الولايات المتحدة، وذلك خلافًا لما تحصل عليه من تبرعات تجمعها من الجالية اليهودية ومن أنصارها فى أمريكا.

٤ ـ المسئولية الأمريكية عن السياسة العدوانية لإسرائيل

لا شك فى أن الولايات المتحدة تتحمل مسئولية كبرى عن السياسات والمواقف العدوانية لإسرائيل، فلولا الدعم الأمريكى للدولة العبرية ـ وخاصة منذ حرب ١٩٦٧م ـ لما جرؤت إسرائيل على مواصلة احتلالها للأراضى العربية المحتلة، والقيام بالممارسات غير الشرعية (سياسة الضم الزاحف) فيها. وعرقلة مفاوضات السلام ثم وقفها.

وقد شهدت فترة حكم الرئيس چورچ بوش الابن تصعيدًا خطيرًا فى مواقف الولايات المتحدة تجاه إسرائيل، حيث اعتبرت إدارته المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى نوعًا من الإرهاب، وأيدت مواقف شارون فى حربه ضد الشعب الفلسطينى، بما فيها عدوانه المتسم بالقسوة البالغة وغير الإنسانية بهدم منازل الفلسطينيين فوق رءوسهم، واغتيال قادتهم، واستخدام كافة أسلحة الدمار من طائرات ومروحيات ودبابات وصواريخ وقنابل متطورة فى هجمات القوات الإسرائيلية ضد المدن والقرى، كما كان أول رئيس أمريكى يتعهد بتأييد الولايات المتحدة لحدود جديدة لإسرائيل تراعى ما أقامته من مستوطنات، ولرفض حق العودة للاجئين الفلسطينيين وذلك فى رسالة وجهها إلى شارون فى إبريل ٢٠٠٤م.

٥ ـ اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة

يمارس اللوبى الإسرائيلى فى الولايات المتحدة ـ وخاصة من خلال منظمة إيباك ـ دورًا خطيرًا فى توجيه السياسة الأمريكية لصالح إسرائيل، الأمر الذى لا يتفق دائمًا مع

مصالح الولايات المتحدة، حيث يضر بعلاقاتها مع الدول العربية والعالم الإسلامى، كما لا يتفق مع مقتضيات السلام.

وقد نشر أستاذان أمريكيان جامعيان مقالاً هامّا بعنوان «اللوبى الإسرائيلى وسياسة الولايات المتحدة الخارجية» فى مجلة «لندن ريفيو أوف بوكس» قاما فيه بتحليل دور هذا «اللوبى»، وكشفا فيه أبعاده ومدى خطورته من حيث تأثيره على السياسة الأمريكية تأثيراً خطيراً وضاراً بمصالح الولايات المتحدة، ويكتسب المقال أهمية بالغة من مركز كاتبيه، فأحد الأستاذين هو ميرز هايمر أستاذ العلوم السياسية بجامعة شيكاغو، والآخر هو ستيفن والت الأستاذ بجامعة هارفارد، فضلاً عن شجاعتهما فى فضح دور اللوبى الإسرائيلى على النحو التالى:

* يذكر الكاتبان أنه بالرغم من أن المصالح الوطنية للولايات المتحدة يجب أن يكون لها المقام الأول، فإنه منذ عدة عقود، وخاصة منذ حرب ١٩٦٧م ـ تتصدر العلاقات الأمريكية الإسرائيلية المركز الرئيسى للسياسة الخارجية الأمريكية. الأمر الذى يجعل السياسة الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط تكاد تكون ناتجة عن السياسات الداخلية، وخاصة من تأثير اللوبى الإسرائيلى.

* قدمت الولايات المتحدة منذ حرب أكتوبر ١٩٧٣م إلى إسرائيل دعما يفوق بمراحل ما قدمته لأية دولة، فقد حصلت إسرائيل على أكبر معونة اقتصادية وعسكرية منذ عام ١٩٧٦ بل وتحصل على أكبر معونة منذ الحرب العالمية الثانية (٣ بلايين دولار سنويًا معونة مباشرة يبلغ مجموعها ١٤٠ بليون دولار، أى ٥٠٠ دولار لكل إسرائيلى سنويًا).

* منذ عام ١٩٨٢م، بلغ عدد المرات التى استخدمت فيها الولايات المتحدة حق الفيتو لصالح إسرائيل ضد قرارات مجلس الأمن ٣٢ مرة.

* أثبت الأستاذان عدم صحة ما يقال من أن إسرائيل رصيد إستراتيجى للولايات المتحدة، بل اعتبراها عبئًا عليها خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة: فهى لا تحارب الإرهاب بل إن الإرهاب يرجع ـ كأحد أسبابه ـ إلى مساندة الولايات المتحدة لإسرائيل.

كما أن دعم إسرائيل الدائم يضعف مركز الولايات المتحدة خارج منطقة الشرق الأوسط كذلك، حيث يعتبر كثيرون تأييدها المستمر لها حتى فى ممارسات إسرائيل القمعية فى الأراضى العربية المحتلة مؤديًا إلى إضعاف الحرب ضد الإرهاب الدولى (ويشير الكاتبان إلى الرسالة التى وجهها ٥٢ دبلوماسيًا بريطانيًا سابقًا إلى رئيس الوزراء بهذا المعنى عام ٢٠٠٤م).

* تصور إسرائيل نفسها على أنها دولة ضعيفة محاطة بأعداء أقوياء، مشبهة نفسها بداود مقابل جوليات، وهذا أمر غير حقيقى؛ إذ إنها أقوى دول الشرق الأوسط عسكريًا.

* إن ما تتمتع به إسرائيل من نظام ديموقراطى يتعارض مع معاملتها غير الديموقراطية للفلسطينيين. كما أن الهولوكوست النازى لليهود لا يمكن أن يسوغ هذه المعاملة غير الإنسانية لهم.

* قامت إسرائيل خلال حربى ١٩٥٦ و١٩٦٧م بقتل أسرى مصريين وطرد ما بين ١٠٠ ألف و٢٦٠ ألف فلسطينى عام ١٩٦٧م. كما أنها قامت بتعذيب الأسرى الفلسطينيين وإذلالهم، وقد استخدمت كافة وسائل القمع فى مواجهة الانتفاضة الفلسطينية (٢٠٠٠ ـ ٢٠٠٥م).

* يمارس اللوبى الإسرائيلى تأثيرًا قويًا على الكونجرس الأمريكى، حيث تتمتع إسرائيل بالحصانة من النقد. ويرجع هذا التأثير على قدرة اللوبى على مكافأة أعضاء الكونجرس والمرشحين لعضويته بالمساعدات المالية والإضرار بمن يتخذون مواقف غير مؤيدة لإسرائيل، كما يلجأ هذا اللوبى إلى توجيه الأعضاء بالدراسات والخطابات.

* كما يقوم اللوبى الإسرائيلى بالضغط على الجهاز التنفيذى عن طريق المساعدات المالية التى تقدم فى الانتخابات الرئاسية (ويضرب الكاتبان أمثلة لهذه الضغوط ونتائجها).

* ومن ناحية أخرى، للوبى تأثير كبير على وسائل الإعلام الأمريكية.

* وتعمل مراكز أبحاث هامة على توجيه الرأى العام، وتخضع للوبى الإسرائيلى، ومنها معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، والمعهد الأمريكى إنتربرايز، ومعهد بروكنجز.

* كما يستخدم اللوبى الجامعات والمراكز الأكاديمية للدفاع عن السياسة الإسرائيلية.

* أدت ممارسات شارون فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وتأييد إدارة الرئيس بوش (الابن) لها إلى تصاعد العداء للولايات المتحدة فى المنطقة.

* أدت ضغوط إسرائيل واللوبى الإسرائيلى إلى قيام الولايات المتحدة بغزو العراق وانغماسها فى مستنقعه، كما أنها تدفعها إلى اتخاذ مواقف معادية لسوريا وإيران، وتوريطها فى مشروع تحويل الشرق الأوسط لصالح إسرائيل.

* يشير الكاتبان فى مقالهما إلى أربعة مزاعم يشيعها أنصار إسرائيل ويرون أنها تستوجب قيام الولايات المتحدة بالتأييد الكامل لها وهى: أنها دولة ضعيفة محاطة بالأعداء، وهى دولة ديموقراطية، كما أن الشعب اليهودى عانى من الجرائم التى ارتكبت ضده فى الماضى، وأن سلوكها الأخلاقى يعلو على سلوك أعدائها. وقد فندا كل هذه المزاعم على نحو ما تقدم.

وقد أوضح الأستاذان الجامعيان ـ فى الكتاب الذى أصدراه حديثًا بالتفصيل دور اللوبى الإسرائيلى فى توجيه السياسة الخارجية الأمريكية[1] وتحدثا عن هذا الدور فى مخطط الولايات المتحدة لإقامة الشرق الأوسط الجديد وغزو العرق، وتأليبها على سوريا، فضلاً عن موقفها العدائى من إيران.

ويتضمن الكتاب أن الجماعات الأمريكية المناصرة لإسرائيل كانت دائمًا تريد أن تتدخل للولايات المتحدة عسكريًا فى الشرق الأوسط لحماية إسرائيل، ولكنها لم تنجح فى مرحلة الحرب الباردة إلا بقدر محدود، ثم تغيرت الإستراتيجية الأمريكية منذ

(١) John J. Mearsheimer and W. Walt: The Lsrael Lobby (Allen Lane - 2007).

حرب الخليج الأولى بانتهاج سياسة الاحتواء المزدوج التى رسمها مارتن إنديك فى عهد كلينتون، وعلم أن هذه السياسة كانت استجابة لمقتضيات أمن إسرائيل، حيث أبلغت الدولة العبرية كلينتون بأنها لا تستطيع التقدم فى عملية السلام إلا إذا شعرت بالأمن تجاه إيران، وقد أدت سياسة الاحتواء المزدوج إلى أن أصبحت الولايات المتحدة عدوّة دولتين ـ العراق وإيران ـ تكره الواحدة الأخرى، واضطرت واشنطون إلى تحمل عبء احتواء الاثنتين. وخطا المحافظون الجدد خطوة أخرى، إذ اعتبروا هذه السياسة غير كافية، ورأوا ضرورة إقصاء صدام حسين.

وفى الوقت نفسه، أخذ المحافظون الجدد (وهم يناصرون إسرائيل) يعربون عن فكرة أن نشر الديمقراطية فى الشرق الأوسط يؤدى إلى تحقيق السلام فى المنطقة (مشيرين إلى دراسة لهم أعدوها لبنيامين نيتانياهو).

وفى عام ٢٠٠٢م، عندما أصبح غزو العراق مسألة مطروحة بشدة، جعل المحافظون الجدد من موضوع نشر الديمقراطية فى المنطقة محوراً للسياسة الأمريكية الخارجية.

وهكذا، أصبح القادة الإسرائيليون والمحافظون الجدد وإدارة الرئيس بوش، يرون أن غزو العراق هو الخطوة الأولى فى إعادة تشكيل الشرق الأوسط (أو صنعه من جديد).

وقد كانت إسرائيل دائمًا تعتبر العراق دولة عدوة، وخاصة منذ إقامة المفاعل النووى، والذى قامت بتدميره عام ١٩٨١م، واستمرت فى مناصبته العداء ـ بالرغم من أنها كانت تعتبر إيران خطراً أكبر عليها ـ وأخذت، منذ ربيع عام ٢٠٠٢م، تدفع الولايات المتحدة لغزو العراق، حيث قام نيتانياهو بزيارة لواشنطون وقابل عدداً من رجال الكونجرس والصحفيين وغيرهم، وحذرهم من أن صدام حسين يصنع الأسلحة النووية، وبعدها بأسابيع قليلة ذكر المتحدث باسم شارون أنه «ما لم يوقف صدام الآن، فإنه سيكون علينا ـ بعد خمسة أو ستة أعوام ـ التعامل مع عراق لديه أسلحة نووية ووسائل لنقل أسلحة الدمار الشامل». . ويمضى الكاتبان فى التدليل على الدور الذى لعبه الإسرائيليون فى دفع الولايات المتحدة إلى غزو العراق، وفى تأليبها على سوريا. وسياسة المواجهة التى تتبعها إدارة الرئيس بوش معها ـ بسبب برنامجها النووى ـ ففيما يتعلق بإيران. نجحت جهود إسرائيل واللوبى فى إقناع الرئيس بوش وغيره من الساسة

الأمريكيين بأن إيران الحائزة على السلاح النووى تمثل تهديداً لإسرائيل، وأن الولايات المتحدة مسئولة عن منع هذا التهديد من التزايد.

وختامًا، فإن كتاب الأستاذين الجامعيين يتضمن تفاصيل غاية فى الأهمية لكشف الدور الخطير الذى تلعبه إسرائيل واللوبى الذى يعمل لحسابها فى الولايات المتحدة فى دفع السياسة الخارجية الأمريكية ـ حتى بما يضر بالمصالح الأمريكية ـ مما يضيق المجال عن استعراضها.

* * *

خاتمة

أوضحنا فى الأبواب السابقة للكتاب التراث الدينى اليهودى، والتراث التاريخى لليهود، وطبيعة المشروع الصهيونى الاستيطانية ونزعته الإرهابية. وتحدثنا بعد ذلك عن التاريخ العدوانى لدولة إسرائيلية، وانتهينا إلى محاولة تحديد المسئولية عن الصراع العربى الإسرائيلى.

والواقع أنه قد تداخلت العوامل المشار إليها فى تحديد السياسة الإسرائيلية.

ويمكن فى ضوء ما تقدم رد السياسة العدوانية لدولة إسرائيل إلى عدة عوامل من أهمها: طبيعة المشروع الصهيونى القائم على أساس الاستيلاء بالقوة على الوطن الفلسطينى، وإقامة الدولة اليهودية، وطرد أصحابه الأصليين بالقوة، الأمر الذى كان لا يمكن لهؤلاء قبوله، ومن ثم تصدوا لمقاومته، ووقفت الدول العربية إلى جانبهم فشنت إسرائيل الحروب ضد هذه الدول لفرض سياستها عليها، وقامت بالتوسع فى أراضيها وإحتلال أجزاء منها ومع ذلك واصلت إسرائيل سياستها العدوانية رغم توجه الفلسطينين والدول العربية لقبولها وإقامة السلام معها.

أما العامل الأساسى الآخر، فهو الدور الذى قامت به الدول الغربية للمشروع الصهيونى ولدولة إسرائيل، حيث تولت بريطانيا مهمة بناء الدولة اليهودية فى فلسطين، وفتحت فرنسا ترسانتها لتزويد إسرائيل بالأسلحة، وتآمرت - وبريطانيا - معها لشن العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م، ثم أقامت الولايات المتحدة مع إسرائيل علاقة خاصة منذ أعقاب حرب ١٩٦٧م، واعتبرتها رصيداً إستراتيجيًا لها فى المنطقة، وقدمت لها الدعم السياسى والعسكرى والاقتصادى والمالى الذى يكفل لها

التفوق على الدول العربية مجتمعة، ويمكنها من مواصلة احتلالها للأراضى العربية منذ أربعين عامًا، وأيدت سياستها العدوانية، والتى تجاوزت كل الحدود فى عهد الرئيس جورج بوش الابن.

لقد مضى قرن من الزمان على نشأة الحركة الصهيونية، ومضى ما يقرب من ستين عامًا على قيام دولة إسرائيل.

فهل حققت الصهيونية أهدافها؟

وهل استقرت إسرائيل فى محيطها العربى وحققت لمواطنيها الأمن والسلام؟

أما الصهيونية، فقد تمكنت من تحقيق حلم تيودور هيرتزل بإقامة دولة لليهود بفضل دعم الدول الاستعمارية.

ولكن تحقيق هذا الحلم جاء على حساب الشعب الفلسطينى، وتسبب فى نشوب حروب دامية، بل إن المشروع الصهيونى لم ينجح فى بلوغ هدفه من جمع يهود العالم فى إسرائيل. حيث لا تزال غالبية اليهود راغبة عن الهجرة إليها، وأثبتت بتفضيلها العيش فى دول أخرى عدم صحة الأساس الذى بنى عليه هيرتزل فكرته عن استحالة انقضاء العداء للسامية من العالم.

وأما إسرائيل، فلا تزال مطامعها التوسعية وهواجسها الأمنية تملى عليها سياستها العدوانية تجاه العرب عامة، والفلسطينيين بوجه خاص، ولا يزال سكانها يعيشون داخل جيتو كبير، لا يشعرون داخله بالأمن، ويتوهم ساستها أن أمنها يتحقق بحصولها على أحدث الأسلحة التقليدية وغير التقليدية (النووية والكيماوية والبيولوجية) واتباع سياسة «الجدار الحديدى» ضد العرب.

وقد أدرك فريق من الإسرائيليين أنه آن الأوان لإعادة النظر فى المذهب الصهيونى، وفى الظروف التى نشأت فيها دولة إسرائيل، ومحاولة التعرف على الحقائق التى طمستها الدعاية الإسرائيلية.

فمنذ سنوات قليلة برزت على الساحة الإسرائيلية ظاهرة «المؤرخين الجدد» حيث عكف عدد من المفكرين على دراسة الوثائق الإسرائيلية التى تم الإفراج عنها وتحليلها وتوصلوا إلى إعادة النظر فى تاريخ إسرائيل، وتصحيح معلومات خاطئة كانت متداولة على أنها حقائق.

ومن القضايا التى ناقشها «المؤرخون الجدد» الخطيئة الكبرى التى ارتكبتها الصهيونية بحق الشعب الفلسطينى، باعتبار المشروع الصهيونى مشروعًا استيطانيًا إحلاليًا يستهدف تفريغ فلسطين من سكانها العرب لإحلال اليهود محلهم، ومن ثم صكت الشعار القائل: «شعب بلا أرض إلى أرض بلا شعب». وقد تصدى لهذه القضية بينى موريس فى كتابه (مولد مشكلة اللاجئين الفلسطينيين) فتحدث عن الإجراءات التى تعمدت إسرائيل اتخاذها والتى من بينها إزالة ٣٦٩ قرية ومدينة عربية وإسكان اليهود مكانها، وترحيل أصحاب ٢٢٨ موقعًا بالقوة المسلحة، كما أن عددًا من المؤرخين الجدد تناول قضية السلام حيث زعمت الدعاية الإسرائيلية أن الدولة العبرية ظلت تسعى لإقامة السلام مع الدول العربية فى حين أن هذه الدولة ظلت ترفض المساعى العربية، ومن ثم تتحمل مسئولية استمرار النزاع. ومن هؤلاء (آفى شلايم) الذى أصدر كتابه «الجدار الحديدى» وأثبت فيه أن بن جوريون كان يرفض الدخول فى مفاوضات سلام مع العرب حتى لا تضطر إسرائيل إلى تقديم تنازلات خاصة بالنسبة للحدود ولعودة اللاجئين، وظل ينتهج سياسة استخدام القوة تجاه العرب وشن الحروب ضد الدول العربية ـ وخاصة مصر ـ لفرض الشروط الإسرائيلية، ثم حاول إقامة تحالف مع دول الجوار بقصد حصار مصر، أما مناحيم بيجين، فإنه فى حين أقام السلام مع مصر فإن مواقفه هو وشامير من بقية الأراضى العربية المحتلة أدت إلى الشلل السياسى، بحيث لم تتحرك عملية السلام إلا فى عهد إسحاق رابين.

وعالج آخرون مشكلة التناقض بين هوية الدولة اليهودية والنظام الديموقراطى. ومن هؤلاء «المؤرخين الجدد» (باروخ كيرلنج) الذى يذكر أن التنازلات التى قدمت لصالح التيارات المتطرفة جعلت إسرائيل يهودية أرثوذكسية، وأن الصهيونية عندما اختارت فلسطين لمشروعها كانت دوافعها أيديولوچية دينية. وأدى هذا الاختيار إلى جعل المشروع الصهيونى عاجزًا عن إعالة نفسه اقتصاديًا، بل إلى تحويله إلى مشروع دينى من أساسه لا يستطيع الانفصال عن هويته الأصلية كحركة شبه مسيحانية[1].

وأخيرا، فإن عددًا من هؤلاء المؤرخين الجدد قد تصدى للأسطورة التى نشرتها

(١) أحمد بهاء الدين شعبان: ما بعد الصهيونية وأكذوبة حركة السلام فى إسرائيل (مريت للنشر والمعلومات، القاهرة ١٩٩٩م).

الدعاية الصهيونية عن حرب ١٩٤٨، وكيف أن إسرائيل الدولة الصغيرة هزمت جيوش الدول العربية، وشبهت إسرائيل بالنبى داود الذى هزم جوليات فى القصة الواردة فى التوراة، وفندوا هذه الرواية.

فقد أثبت هؤلاء بالوثائق أن الجيش الإسرائيلى فى تلك الحرب كان أكثر عدداً وأفضل تسليحًا من الجيوش العربية (٣٥ ألف إسرائيلى مقابل ٢٥ ـ ٣٠ ألف عربى، مسلحين بآلاف البنادق والرشاشات والمسدسات والقنابل ويستخدمون الطائرات والمجنزرات والمدافع... إلخ).

وقد تحدث عدد من المفكرين عن مرحلة (ما بعد الصهيونية)، فرأوا أنه آن الأوان لكى تصبح إسرائيل دولة عادية كبقية دول العالم فترعى مصالح مواطنيها دون أن تكون لها علاقات خاصة مع يهود العالم (الدياسبورا). وطالبوا بإلغاء قانون العودة ـ الذى يعطى أى يهودى الحق فى الهجرة والإقامة فى إسرائيل ـ حيث لم تعد ثمة حاجة عملية أو أيديولوچية له، فضلاً عن كونه قانونًا عنصريًا يتعارض مع حق عرب إسرائيل فى المساواة.

ويطالب دعاة ما بعد الصهيونية بأن تكون إسرائيل دولة لكل مواطنيها من يهود وعرب وآخرين.

ومن هؤلاء «بواز إيڤرون» و«هانوش مارمارى» و«إيلان پاپيه»، كما أن منهم «يورى أڤنيرى» الذى ألف كتابًا بعنوان (إسرائيل بدون صهيونية) انتقد فيه سياسة بن جوريون، وعدوانية موشى ديان، ومواقف إسرائيل تجاه العرب بصفة عامة، ودعا إلى فك روابط إسرائيل بالصهيونية، وإقامة اتحاد فيدرالى بينها وبين دولة فلسطينية تقام فى الضفة الغربية وقطاع غزة مع إمكان انضمام الأردن لها.

وقد ألف داڤيد جولدبرج كتابًا بعنوان (إلى الأراضى المقدسة)، استعرض فيه تاريخ الصهيونية من خلال الكلام عن مفكريها وقادتها، وانتهى بفصل بعنوان (الصهيونية ـ نهاية أيديولوچية). تساءل فيه عما إذا كان وجود إسرائيل يحقق الاستقرار الذى كانت تفتقده الأجيال السابقة أم أن قدر اليهود هو أن يكونوا شعبًا عالميًا. وذكر أن التاريخ هو الذى سوف يرد على هذا السؤال وغيره، أما انتقاد الصهيونية فإنه قديم قدم هذه

الحركة ذاتها، سواء من قبل رجال الدين أو العلمانيين، ومن الأرثوذكس أو الإصلاحيين والاشتراكيين، ومن اليمين واليسار، ومنهم من يرى أنه طالما أن الدولة اليهودية قد أقيمت فإن الصهيونية تكون قد حققت هدفها، فإذا كان ذلك كذلك فإن معظم يهود العالم قد يطلقون الهتاف «لقد ماتت الصهيونية.. ولتحيا دولة إسرائيل»[1].

هذا ـ فى حين يعرف (أمنون روبنشتاين) «ما بعد الصهيونية» بأنها نظرة تعتبر الصهيونية حركة كولونيالية (استعمارية) اتخذت مواقف صماء تجاه الظلم الذى ألحق بالعرب، وينتقد هذه النظرة قائلاً إنها لملمة مذاهب تافهة، أو ترهات احتيالية»[2].

وعلى أية حال، فإن حركة المؤرخين الجدد والدعوة لما بعد الصهيونية لم تؤثرا كثيراً على سياسة إسرائيل، خاصة مع تحول المجتمع الإسرائيلى نحو اليمين، وتوقف عملية السلام.

وإذا كانت هذه الدعوات لم توثر كثيراً على السياسة الإسرائيلية، فإن ما أثبتته الحرب الإسرائيلية اللبنانية عام ٢٠٠٦م من تخاذل قوة الردع التى نشهرها إسرائيل ضد العرب قد تكون نقطة تحول فى مواقفها، حيث فشلت الدولة العبرية فى تدمير أسلحة حزب الله، وعجزت قواتها عن التقدم فى جنوب لبنان، بل إن الصواريخ قد أصابت داخل إسرائيل كما تزايد تسلح الدول العربية بالصواريخ المتطورة.

وبعد، فقد حاولت فى هذا الكتاب، أن أشرح أبعاد وأسباب السياسة التى لا تزال تنتهجها إسرائيل، وخاصة فى تعاملها مع الفلسطينيين، حيث تواصل قواتها التوغل فى قطاع غزة والضفة الغربية لتعمل القتل والدمار فيهما وتطلق طائراتها الصواريخ لاغتيال الشخصيات الفلسطينية، وتهدم البيوت على رءوس سكانها وتعتقل الآلاف منهم، وتفرض حصاراً خانقا على قطاع غزة.

وقد كان أولى بإسرائيل أن توقف هذه الممارسات وتتجاوب مع التوجهات العربية للسلام. إذ كانت تتمنى ـ منذ نشأتها أن يعترف بها العرب ويطبعوا علاقاتهم معها،

---

(١) David Goldberg: To the Promised Land (Penguin).

(٢) أمنون روبنستاين: من هيرتزل إلى رابين ـ مرجع سابق.

وأصبح ذلك ممكنًا منذ أن سارت الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية فى طريق السلام، ومدت القمة العربية يد السلام إليها بالمبادرة التى طرحتها عليها منذ أعوام، ولكنها لم تتجاوب معها حتى اليوم.

بل إن (حماس) سبق أن أوقفت عملياتها ضد إسرائيل وقررت وقف إطلاق النار أكثر من مرة، كما عرضت عقد هدنة طويلة مع الدولة العبرية مقابل انسحابها من الأراضى العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧م.

ولا شك فى أن قبول إسرائيل لهذه العروض سوف يرسى الأسس لإقامة سلام دائم وعادل بين إسرائيل والأطراف العربية، ويؤدى - بالتالى - إلى تحقيق الاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط.

ومن الخطأ اعتبار النزاع العربى الإسرائيلى نزاعًا دينيًا، بل هو نزاع سياسى. فالإسلام يعترف باليهودية كديانة توحيد سامية، بوصاياها العشر وتعاليمها وعباداتها وطقوسها، كما لم تعرف الدول الإسلامية، ظاهرة عداء اليهود على نحو ما تفشت فى الدول الغربية، وذلك إلى أن تسببت الصهيونية فى إثارة عداء المسلمين والعرب.

والواقع أن الصهيونية قد استغلت بعض العقائد اليهودية ذات الطابع القومى وأساءت تفسيرها، بل وأدت إلى تشجيع التطرف والأصولية الدينية، وسلكت طريق العنف لتحقيق هدفها. ولا تزال الحكومات الإسرائيلية تسير على نفس النهج الذى رسمته الحركة الصهيونية.

ويرى كثيرون من المفكرين والكتاب اليهود أنه حان الوقت لإعادة النظر فى الأهداف الصهيونية، وينتقدون بشدة سياسة إسرائيل العدوانية تجاه الفلسطينين والدول العربية.

ومن المؤسف، أن بعض الكتاب يدافعون عن سياسة إسرائيل، أيًا كانت، وعن مواقفها حتى المتعنتة والخاطئة منها، ويمارسون نوعا من الإرهاب الفكرى ضد من ينتقدها؛ أو ينقدون الصهيونية، وهم بذلك يلحقون الضرر بإسرائيل ولا يفيدونها ويساعدون على استمرار الصراع العربى الإسرائيلى.

أما الولايات المتحدة، فعسى أن تدرك أن «علاقتها الخاصة» مع إسرائيل قد سببت لها عداء العالم العربى والإسلامى، وأن تأييدها للسياسة الإسرائيلية العدوانية هو السبب الرئيسى للإرهاب الدولى الذى عجزت عن القضاء عليه، وأنه لا سبيل إلى تحقيق السلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط إلا بحل النزاع العربى الإسرائيلى حلاً عادلاً وشاملاً ودائمًا ينهى الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية، ويعيد الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى بما فيها حقه فى إقامة دولته المستقلة بعاصمتها القدس، وحل مشكلة اللاجئين حلاً عادلاً على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤.

أما التحيز الصارخ لإسرائيل ودعم سياستها وأطماعها، أو مجرد اللجوء إلى عقد اتفاقات مرحلية، بهدف التهرب من تسوية القضايا الأساسية ـ وخاصة قضايا الحدود النهائية والقدس واللاجئين والمياه ـ واستغلال الانقسامات الفلسطينية الحالية، فإنها لن تؤدى إلا إلى إطالة الصراع، واستمرار العنف والإرهاب فى المنطقة.

سفيـر / طاهـر شـاش

مصر الجديدة فى ١٥ سبتمبر ٢٠٠٧م

***